الكندي وتأسيس الخطاب الفلسفي الإسلامي

بن علية المسعود

مركز البحث في العلوم الاسلامية والحضارة الأغواط

-ملخص: *تعد إسهامات الكندي المبكرة في مجال الفلسفة البدايات الأولى لتأسيس الخطاب الفلسفي الإسلامي، فالعرب قبل مجيء الإسلام لم يكونوا يمتلكون علوما ولا فلسفة ولم يعرفوا الكتابة ولا القراءة وكل ما كانوا يمتلكونه القدرة على قرض الشعر. لذلك لما جاء الإسلام وبنى العرب حضارتهم احتاجوا إلى علوم وفنون وفلسفة غيرهم فأخذوا من كل الشعوب والأمم المجاورة لهم بخاصة اليونان، ولقد لعب الفلاسفة المسلمون دورا مشهــــودا في نقل العلوم والفنون إلى اللغة العربية من بينهم الكندي.*

الكلمات المفتاحية: *الكندي، الخطاب الفلسفي الإسلامي، المأمون، المعتزلة، المتوكل، الفلسفة الدين.*

-Résumé : *Les premières contributions d'Al Kindi constituent le début de la fondation du discours philosophique islamique. Les arabes avant l'islam ne maitrisaient pas les sciences et la philosophie, ils ne savaient pas lire et écrire, ils étaient des poètes. L'islam a fait que les arabes ont construit leur civilisation en se basant sur la science, l'art et la philosophie des autres civilisations en particulier la civilisation grecque.*

Mots clés : *Al Kindi , Discours Islamique de Philosophie , Ma'mun, Mu'tazilites, AL-Mutawakkil , Philosophie , Religion.*

-Abstract: *Al Kindi was the first to launch the foundations of Islamic philosophical discourse, because pre-Islamic Arabs did not possess the sciences and philosophy, and did not know writing and reading, except poetry. After the coming of Islam, the Arabs built a civilization and needed to borrow the science, art and philosophy of other peoples, mainly the Greek. One of the first Muslim philosophers to transfer science and art into Arabic was Al Kindi.*

Key words: *AL – Kindi, Islamic philosophical thought, Ma'mun, Mu'tazilism, AL– Mutawakkil, Philosophy, Religion.*

– **مقدمة:** عرفت الحضارة العربية الإسلامية وجوها لامعة في شتى ميادين المعارف ومن هؤلاء الفيلسوف الكندي الذي اعتبره الكثير من المؤرخين والدارسين من بين أوائل أبناء العرب الذين كانت لهم جرأة غير مسبوقة في تناول علوم غير العرب بالترجمة والشرح والتلخيص والتعليق وبخاصة تراث فلاسفة اليونان .

ولم يكن الكندي ليحقق هذا المشروع المعرفي الرائد في حضارة بدأت لتوها للظهور وإيجاد مكان لها بين الأمم وفي لهفتها الحثيثة للتطور والتقدم لولا العناية التي لقيها من الساسة آنذاك من خلفاء المسلمين وبخاصة المأمون الذي تعلق بمجالس العلم والفكر وأولع بالفلسفة وقد أشار الأهواني إلى أن " المأمون هو الذي شجع الفلسفة، وأمر بإرسال من يطلب الحكمة من بلاد الروم، وأنشأ بيت الحكمة للترجمة إلى اللسان العربي ". ولا يمكن الحديث عن الخليفة المأمون دون الحديث عن الجو الكلامي الدائر بين المسلمين في ذلك الوقت وبخاصة فرقة المعتزلة التي شغلت الناس والساسة والحكام بنشاطها غير المعهود في ذلك الوقت وقد ذكر رديورانت ما يؤكد على هذه العلاقة" وأفتن المأمون نفسه بهذه النزعة العقلية الآخذة في القوة، وبسط عليها حمايته وانتهى الأمر بأن جعل عقائد المعتزلة مذهب الدولة الرسمي". لقد دشنت هذه الفرقة الإسلامية للرأي وانتصرت للعقل ودافعت على مبدأ الحرية ولقد تأثر الكندي بآرائها وإن لم يكن عضوا فيها. لقد كان سمة تلك المرحلة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية الإبداع والابتكار في شتى ميادين ومناحي الحياة وكأن المسلمين يعيشون حالة من العطش الفكري والفضول العلمي والذي كانت من بين دوافعه الدين الذي حظي على ذلك الأمر.

– **الكندي يبني الجسور بين المسلمين والحضارات:** بدأ تأسيس الخطاب الفلسفي عند الكندي عندما بدأ في عملية ترجمة كتب اليونان والعمل على إرساء جسور بين الحضارات الشرقية القديمة والحضارة العربية الإسلامية الناشئة بالاعتماد على فتية من السريان الذين كانت لهم دراية مشهودة بلغة اليونان وترجمتها إلى اللغة العربية بتشجيع من السلطات القائمة في ذلك الوقت. ويشير الشنواني (2007)" أن المباحث الفلسفية كانت في القرنين الأول والثاني الهجرية في أيدي النصارى من السريان الذين معظمهم أطباء استعان بهم الخلفاء في العلاج وحثوهم على نقل الطب والفلسفة إلى أن شاركهم الكندي فكان أول فيلسوف عربي".

عمل الكندي بعد ذلك على الشروح لهذه الكتب وبخاصة لأفلاطون وأرسطو هذا الأخير الذي تأثر به في الكثير من القضايا التي حملتها بطون كتبه وهذا لا يعني أن الرجل كان مقلدا أعمى وأنه يتبنى كل أفكاره أو أن فلسفته متطابقة مع هؤلاء فقد اختلف معهما في الكثير من القضايا الأخرى التي تصطدم مع قناعة الأصوليين وعلماء الكلام وإن فسرها بعض الدارسين بخاصة في عصرنا الحالي بأن ذلك يعبر عن أصالة الكندي ودليل على انتمائه الديني والوطني الخالص بخاصة في قضية العالم التي قال أرسطو بقدمه. وخالفه الكندي بالقول بحدوثه ومرد ذلك حسب مرحبا(1985) أنه كان " مؤمنا بالفلسفة عاكفا عليها ينظر فيها التماسا لكمال نفسه، كما كان الإسلام جزءا من ميراثه الروحي عزيزا عليه يؤمن به ويخلص له ".

– **الكندي يؤسس للتواصل المعرفي والعلمي بين الحضارات:** ومن بين علامات التأسيس الأخرى للخطاب الفلسفي" الكنداوي " في الإسلام أنه كان أول فيلسوف عربي يتحدث على الارتباط الوثيق بين الدين والفلسفة وقد ربط بينهما ربطا محكما لا سبيل فيه للمزايدة. وقد أشار إمام (1998) على أنه" كان من أوائل

من استحدثوا مبحث التوفيق بين الدين والفلسفة والوحي والعقل". كما أكد على حقيقة حاجتهما لبعضهما البعض ويضيف صقر (1997) بالقول أنه" أخذ على عاتقه إظهار ضرورة دراسة الفلسفة ومدى أهميتها للعرب وللإسلام "كما وأكد على حقيقة التعاون بين المعرفتين الإلهية والبشرية في استجلاء كل غموض وتجاوز أي عقبة مهما كان نوعها وأن التعارض الحاصل بينهما مفتعل ينم عن الجهل وأسبابه بعيدة كل البعد عن محاولة بلوغ الحق فهما متفقتان. وقد أشار حنفي (1986) على لسان فيلسوفنا من أنهما يشتركان" في الوسيلة والغاية، وأن التعارض بينهما ناشئ من رجال الدين الذين يدافعون عن مناصبهم المزورة ويؤسسون شرعيتهم على رفض الحقائق مع أن الحكمة ضالة المؤمن لا يهمه من أي مصدر أتت".

وقد شكل ذلك الأمر دفعة قوية وحاسمة فيما بعد حول هذا الموضوع بالذات لكل من الفارابي وابن طفيل وأخيرا ابن رشد في كتبه: فصل المقال وتهافت التهافت ومناهج الأدلة.

الكندي والآخر:

وفي الحديث عن واجب الاعتراف بجهود السابقين من المسلمين وغير المسلمين وإسهاماتهم الكبيرة في العلوم أو الفلسفة أو غيرها في شتى المعارف وحقول العلم، فقد أبرز مرحبا (1985) وعلى لسان الكندي موقفه ذاك نحو هؤلاء بقوله:

"فإذا كان من الأشياء الضرورية ألا نذم من كان أحدا أسباب منافعنا الصغار الهزيلة فكيف بالذين هم أكبر أسباب منافعنا العظام الحقيقية الجدية. فإنهم وإن قصروا عن بعض الحق فقد كانوا لنا أنسابا وشركاء فيما أفادونا من ثمار فكرهم التي صارت لنا سبيلا وآلات مؤدية إلى علم كثير مما قصروا عن نيل حقيقته. فلم

ينل الحق أحد من الناس بجهد طلبه ولا أحاط به جميعهم، بل كل واحد منهم أما لم ينل منه شيئا وأما نال منه شيئا يسيرا".

لقد كان الكندي فيلسوفا عادلا وعالما منفتحا على غيره ونرى هذا الانفتاح الأخلاقي العلمي والفكري عندما نجده يشيد بمجهودات السابقين من الغابرين سواء العلماء أو الفلاسفة أو غيرهم من خلال ما قدموه من تضحيات تكللت بتلك المعارف والعلوم والفنون وذلك في سبيل الوصول إلى الحقيقة وإعلاء شأنها وإرساء دعائم التطور بغض النظر عن مصدر هذه المجهودات وهذه الحقائق سواء جاءت من المسلمين أو غير المسلمين مادام الناس غير مكرهين على الأخذ بها بشكل معين قد يحدده أصحابها ومن صنعها وأن الناس لهم فرصة في أخذ ما يناسب كل قوم وفق عقيدتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وعليه فقد انتهى صقر (1997) إلى القول أن" الكندي هنا يدعو إلى البحث عن الحقيقة بصرف النظر عن كونها عربية أو يونانية".

كما كان الكندي عالما متواضعا واسع الأفق دمث الخلق واتسع صدره لقبول آراء غيره من الفلاسفة وإن كانوا على غير دينه ما دام ذلك الأمر لا يتعارض مع الدين ويتقبله العقل ويخدم الأمة في حاضرها وفي مستقبلها، وقد خلص العقاد (1998) إلى تلمس الصفات والخصال التي عرف بها الرجل بقوله:

" كان (الكندي) متحليا بصفات العلماء وأخلاقهم وتواضعهم فهو لا يدعي أنه يقدم معرفة تامة وإنما يعترف بأن جهده محدود، وأنه يحاول أن يتم ما لم يتمه السابقون بقدر طاقته كما تتجلى لنا أخلاق الكندي العلمية الفاضلة في حرصه على عدم التعرض لأخطاء العلماء والطعن عليهم أو مضاغنتهم".

-**عقبات اليوم هي عقبات الأمس:** لم يخلو عصر من العصور في حياة البشر من المتحجرين في عقولهم وضيقي الأفق والرافضين لكل جديد حتى لو كان

هذا الجديد لا يناقض الدين أو حتى لو كان الدين نفسه يدعو إليه، هي العادات البالية والجمود الفكري الذي يتأتى نتيجة جمود العقل وإغلاق باب التأويل والاجتهاد والانغلاق على الذات والاكتفاء بالظاهر من النصوص والاعتماد على أسلوب الحفظ والتلقين وكبح أي محاولة للتفكير لذلك وجد الكندي في مشروعه الجريء تأسيس خطاب فلسفي إسلامي في زمانه مقاومة شديدة من خصومه وأعداء التطور والتنوير وقد اختلطت فيها العديد من العوامل أولها عامل الحسد. وقد أشار إمام (1998) إلى جانب من ذلك البلاء وهو أن "ابني موسى بن شاكر، طبيبان نصرانيان بالقصر العباسي، كانا يغيران من الكندي ويسعيان بالوشاية عليه عند الخلفاء، حتى نجحوا في النهاية في الوقيعة بينه وبين المتوكل "، هذا الحسد الذي لحقه لم يستثن فيه الفقهاء والأصوليين والذين عملوا دون كلل أو ملل على تأليب الحكام عليه والعامل الثاني سياسي. فقد ذكر Dykes (2011) ما يشير إلى أسباب نكبته والتي كان جزء منها نتيجة "ارتباطه بفرق كلامية واتصاله بالمعتزلة"، والتي على ما يبدو تم الاستغناء عنها والتنكيل بها في عهد المتوكل الذي مال للأصوليين بهدف إرساء دعائم الحكم الجديد وكسب الفقهاء والدهماء من الناس إلى جانبه في ظل أوضاع سياسية متردية والانتصار لهم ولقضاياهم بعد فترة ازدهار وقوة للمعتزلة في عصر المأمون الذي سبقه والذي نال الكندي نصيب منها لكنه اليوم يضرب على يد المتوكل فقد أورد إمام (1998) طبيعة الظروف القاسية التي أحاطت به بقوله:

"أصابه ما أصاب المعتزلة من فتنة واضطهاد فطرد من القصر وفقد وظيفته كطبيب للخلفاء ومؤدب لأحمد بن الخليفة المعتصم. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فلقد مني الكندي بكارثة حقيقية وخسارة فادحة عندما أخذت كتبه وصودرت"، وسحبت منه لترد إليه فيما بعد ليتعثر بعد ذلك سير قطار التأسيس الذي بدأه الكندي لبرهة في الشرق الإسلامي ولينطلق بعد ذلك على يد فيلسوف قرطبة والأندلس ابن رشد الذي على ما يبدو أنه كان مطلع على حياة وآراء الكندي وذلك في الجانب الآخر من الدولة في حاضرة المغرب الإسلامي.

لقد كانت محنة أحمد ابن حنبل في قضية "خلق القرآن " ضربة قاصمة لمسار تأسيس الخطاب الفلسفي الإسلامي وقد شرح الأهواني حيثيات تلك الحادثة بقوله:

«وقع ذلك الصراع الدامي بين المعتزلة و أصحاب الحديث، عندما حدثت فتنة القول بخلق القرآن واصطنعها المأمون ثم ابنه المعتصم، وأيدا أحمد بن أبي داود، وأصيب الإمام الجليل أحمد بن حنبل بالمحنة المشهورة، حتى خمدت نار تلك الفتنة زمان المتوكل، الذي لم تكد الخلافة تفضي إليه حتى أمر باطراح النظر والمباحثة في الجدال والترك لما كان عليه الناس في أيام الواثق والمعتصم والمأمون، وأمر الناس بالتسليم والتقليد، وأمر شيوخ المحدثين بالتحديث وإظهار أهل السنة والجماعة »، وقد اندثر هذا الخطاب بعد تلك الحادثة لفترة طويلة من الزمن ولم يجرء أحد على محاولة بعثه من جديد خوفا من المآلاتغير محسوبة العواقب. ولقد جاء ابن رشد بعد أن يئس الكل ليعيد الحياة له مرة أخرى وليعمل

على تثبيت هذا الخطاب الفلسفي التنويري الذي بدأه الكندي وليواصل المسيرة غير أن ما تعرض له ابن قرطبة بسبب المقالب السياسية والتعصب الفكري في قرطبة والأندلس برمتها من أصوليين وعلماء الكلام ومن خارج الأندلس والذي عبر عنه تهجم الغزالي من خلال كتابه تهافت الفلاسفة أوقف مسار تثبيت ذلك الخطاب ووجه له ضربة قاضية لم ينهض بعدها.

- من تأسيس الخطاب الفلسفي عند الكندي إلى تجديد الخطاب الديني اليوم: لم يجد بعض الحكام المسلمين الأوائل وبعض الفلاسفة قديما أي حرج من الاطلاع على علوم الآخرين من الأقوام غير المسلمة وبخاصة المجاورة لحدود الدولة في ذلك الوقت فاحتكوا بها ونقلوا كتبهم وترجموها من لغاتها الأصلية إلى اللغة العربية وذلك للاستفادة منها بهدف خدمة الدين والدفاع عنه ولبناء الحضارة الإسلامية الناشئة التي كانت تفتقر للكثير من الوسائل والإمكانيات والتي كانت موجودة عند غيرهم من الأقوام والشعوب غير المسلمة ولأن علوم وأفكار تلك الشعوب والأمم والتي كانت سببا رئيسا في نهضتها قائم على العقل فقد تفطن العرب لذلك وشجعوا على إعماله في هذه الأثناء دون أن ننسى أن نشير إلى أن الدين نفسه دعا لذلك الأمر وأوجبه.

إلى جانب الاهتمام بدور العقل وأهميته كانت هناك الكثير من الأفكار والعلوم المشتتة والمتناثرة على حدود الدولة الناشئة وعند شعوب مجاورة والتي رأى العرب أنه من المهم بمكان استغلالها بخاصة التي لا تتنافى مع الدين أو تخدش تعاليمه، غير أن طبيعة البداوة عند العرب وعدم تعودهم على العيش في

الحواضر والحياة على أساس السليقة والفطرة والطبيعة ناهيك عن طابع الإلقاء والتلقين والحفظ دون إتاحة المجال للتفكير والحوار في تعليمهم بالإضافة إلى الانغلاق على الذات كلها عوامل أدت إلى تراجع تأثير ذلك المشروع النهضوي الذي أسس له الكندي في الماضي وعجل بهذا التخلف في الحاضر.

لقد تغير الزمن والناس ولكن أساليب الفكر مازالت هي تنشئ أحفادا للجمود الفكري لذلك وبعد تأسيس الفلسفة على يد الكندي وتثبيتها على يد ابن رشد والتي أصبحت فيما بعد أحد مقومات الحضارة الإسلامية أصبح اليوم من غير الممكن تحييدها أو إزالتها أو القضاء عليها بدليل أعمال المفكرين المعاصرين وجهودهم المضنية لإحياء التراث وتجديده ليعانق القضايا المصيرية اليوم والتي يتعرض لها العالم الإسلامي وإيجاد حلول لها على عجل.

إن كل عمل ينبثق اليوم على مستوى الفكر والذي يتناول القضايا الراهنة في إطار تجديد الخطاب الديني الذي عرقلته الأصولية ماضيا وحاضرا والمكبلة بأغلال الجمود وإلغاء الآخر والانغلاق على الذات والانفتاح بالمقابل على التعصب والتكفير والانقياد الأعمى حتى لو كان ذلك على حساب هلاك الأمة هو أحد الأسباب المهمة التي تدعونا على عجل لاستدعاء جرأة الكندي وعقلانية ابن رشد اليوم. وقد أشار العقاد (1998) من أن "الآراء الفلسفية التي قام بها أمثال الفارابي والكندي وابن سينا والغزالي وابن رشد وابن طفيل لا تعد غريبة كل الغرابة عن مذاهب العصر الحديث، لأنها لم تخل من آراء تكلم فيها أساطين الفلسفة الإسلامية وعرضوا لها إما بالإسهاب أو الإيجاز"، عندئذ فقط نتمكن من بعث خطاب جديد

يوائم بين الفلسفة والدين والحديث والقديم والدخيل والأصيل وإيجاد قواسم مشتركة بينهما، بذلك فقط يمكن القضاء على أهم عوامل تعطيل التأسيس والتثبيت والتجديد والنهوض من جديد في عالم أصبح سلاحه الوحيد اليوم هو الفكر(الفلسفة) والعلم فقط.

– **خاتمة:** بدأت الفلسفة الإسلامية تشق طريقها نحو التأسيس من خلال القضايا التي جاء بها الإسلام ومن خلال ما جلبه المسلمون من علوم وفنون من أمم أخرى كانت الحاجة ماسة إليها لصنع حضارتهم الفتية وبخاصة ما تعلق بالتراث اليوناني الذي شكل عبقرية هؤلاء (اليونان) في شتى الميادين، وقد كان السبيل الأفضل لتحقيق ذلك الهدف هو حركة الترجمة التي بدأت باكرا مع الأمويين ولكنها بلغت الذروة مع العباسيين.

لقد كانت أفكار الكندي قريبة من أفكار فرقة المعتزلة التي ناصرها الخليفة المأمون وإن لم يكن فيلسوفنا عضوا فيها ولعل هذا السبب وأسباب أخرى عرضته لنكبات كثيرة وبخاصة في عهد الخليفة المتوكل، وعلى أية حال فقد استحق الكندي أن يلقب " بفيلسوف العرب" بجدارة واستحقاق لأنه كان من أوائل الفلاسفة الذين اعتنوا بالفلسفة اليونانية و قام بشروح لفلاسفتها كما وأنه من الفلاسفة الأوائل الذين اشتغلوا بالفلسفة مبكرا ودافعوا عنها ضد الناقمين عليها من فقهاء وعلماء كلام وأصوليين. ويعد الكندي أول فيلسوف يحاول أن يوفق بين الفلسفة والدين، وذكر Ahmed (2004) على أنه ترك " عددا معتبرا من المؤلفات حوالي 250 لم يبق منها سوى 50 مؤلفا هو كل ما وصل إلينا "،ورغم ذلك يمكن للباحث والقارئ أن

يتلمس ملامح ومعالم فلسفته فيما تبقى من رسائل محققة وأفكار متناثرة هنا وهناك للإحاطة بتاريخ الأمة العربية والإسلامية.

أما بخصوص مسألة تجديد الخطاب الديني المطروح اليوم بإلحاح والذي بدأ بالتأسيس للخطاب الفلسفي الإسلامي على يد الكندي ثم التثبيت على يد ابن رشد فإنه لن يتحقق إلا بتجاوز العقبات التي تعرقل مسيرته المحتشمة وأهمها العامل الخارجي الذي يمنع عن العرب والمسلمين رغبتهم الحثيثة في اكتساب التكنولوجيات الحديثة والتطلع للعلوم الجديدة والمعاصرة والرغبة في التحكم فيها والاستفادة منها، والعامل الداخلي والمتمثل في وصاية الأصولية على الدين واستخدام تلك الوصاية الزائفة في الحفاظ على المكاسب والامتيازات الاجتماعية والمادية التي وفرتها لهم ومحاربة كل ما ينغص عليها ولو كان لا يناقض الدين وأخيرا القرار السياسي الشجاع والواعي وضرورة انحيازه لهذا التطلع المشروع بعد أن ظل يمارس النفاق لصالح دعاة الانغلاق والجمود الفكري حفاظا على وجوده وبقائه واستمراره هذا الاستمرار المنقوص بفعل مساومة هؤلاء، بذلك وحده يمكن تحقيق تجديد الخطاب الديني وذلك لرؤية المستقبل بثقة وعزيمة واختراق أفاق المستقبل بقوة وثبات.

- قائمة المراجع:

1- الأهواني، أحمد (دس). الكندي فيلسوف العرب. القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

2-الشنواني، محمد (2007). موسوعة عباقرة الحضارة العلمية في الإسلام. المدينة المنورة: دار الزمان للنشر والتوزيع.

3- العقاد، عباس محمود(1998). أثر العرب في الحضارة الأوروبية. مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

4- إمام، زكريا بشير (1998). تاريخ الفلسفة الإسلامية دراسة مدخلية ميسرة. الخرطوم: الدار السودانية للكتب.

5- حنفي، حسن (1986). موسوعة الحضارة العربية الاسلامية. بيروت :المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

6- ديورانت، ول وايريل (دس). قصة الحضارة عصر الإيمان. (ترجمة محمد بدران). بيروت: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع. تونس: جامعة الدول العربية.

7- صقر، ابراهيم محمد ابراهيم (1997). مشكلات فلسفية. (تصدير عاطف العراقي). القاهرة: دار الفكر العربي.

8- مرحبا ، محمد عبد الرحمن (1985). الكندي فلسفته منتخبات. بيروت: منشورات عويدات.

9- Ahmed, Salah ouledmoulaye. (2004). L'apport scientifique arabe à travers les grand figures et l'époque classique. paris : UNESCO.

10- N DYKES, Benjamin.(2011). The forty chapters of al – kindi .Minnesota : the cazimi press minneapolis .